مكتبة تخصصية
تاريخ الإسلام والحضارة
١٣٣٠

المورد

ة تراثية فصلية محكمة

رها دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ جمهورية العراق

د الثامن والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

الهيأة الاستشارية

الاستاذ هلال ناجي

أ . د . سامي مكي العاني

أ . د . محمود عبد الله الجادر

أ . د . عماد عبد السلام رؤوف

الاستاذ اسامة النقشبندي

مدير التحرير

د. هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير

د . مي فاضل الجبوري

التصميم والاخراج الفني

جنان عدنان

التصحيح اللغوي

نجلة محمد

☐ عنوان المراسلة

☐ دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية

ص. ب ـ ٤٠٣٢ ـ بغداد

جمهورية العراق

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين ، الثورة القومية ، العربية ، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو ، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى الى تنفيذها ، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من سلسلة الثورات التي شهدها الوطن العربي ابتداءً من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الامة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات استراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة ، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم ..

إن احدى أهم نتائج الثورة ، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شانه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد .

وفي مواجهة الثورة ، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين ، فقد ذهبت بعض التقديرات الغربية الى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أنها كلفت بريطانيا ، فضلاً عن الاصابات أربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية .

ملف العدد : ثورة العشرين ص٣٧ ـ ٦١ .

الاسعار: العراق ٢٥٠ ديناراً، الاردن: ديناران، الامارات: ٣٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً.

المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى.

www.dorat-ghawas.com

المرقبة
في الشعر الجاهلي

د . عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي
كلية اللغات - جامعة بغداد

■ المقدمة :

المرقبة : الموضع المُشرفُ ، يرتفع عليه الرقيبُ وما أوفيت عليه من علم أو رابية لتَنْظُرَ من بُعد . وهي المَنْظَرة في رأس جبل أو حصن وجمعه مَراقبُ . والترقب : توقع شيء وتنظُره[1] . ومما يتصل بالمرقبة صلة وثيقة ما نجده تحت مادة « ربأ » فالربيء والربيئة : الطليعة ، والجمع الرَبايا ولا يكون الا على جبل أو شرف ينظر منه . ومن المجاز رَبأ فلان على شرف اذا « علا وارتفع » لينظر للقوم كيلا يدهمهم عَدُو[2] .

وربات الارض : رَبت وارتفعت ، قال تعالى « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وَربت »[3] . اي ارتفعت . وقد ارتبطت المرقبة بالجبل وللجبل صفات طبيعية معروفة هذا الى جانب ما يستوحيه منه الانسان من صفات معنوية تدل كلها على الشموخ والعظمة والعلو والسيادة ، فضلًا عن ارتباطه بالعز والمنعة والحصانة ، يقول دثار بن سنان :

كأني اذا حللت به طريداً
حللت على المنيع من أبان[4]

والصلة بين الشعر والبيئة صلة وثيقة لا ينكرها منكر ومن هنا كان للجبال وما يتصل بها وما تكتنفه من تفاصيل سفوحها وكهوفها وقممها موضع في شعر الجاهليين الذين تناولوا ذلك كله في حديث وصفهم ومغامراتهم وغزواتهم وسلمهم وحربهم فضلا عن اتخاذهم الجبال رموزا للشموخ والعظمة والخلود ، والذي يعنينا من ذلك كله أن المرقبة احتلت قدرا صالحا من شعر الشعراء على اختلاف شرائحهم وكان لها في شعر كل شريحة موضع ودلالة مما لم تفصل فيه دراسات سابقة ولم تستبطن مضامينه نظرات تحليلية ، وذلك ما يطمح هذا البحث الى تحقيقة متابعا صور المراقب في شعر كل شريحة محللا طبيعة تناولها ودلالات توظيفها وصولا الى تقديم تصور شمولي لظاهرة مهمة من الظواهر التي عالجها الشعر الجاهلي .

المرقبة في شعر الصعاليك :

لقد شغلت المرقبة جانباً كبيراً من شعر الصعاليك خاصة ، ومن هؤلاء الصعاليك ، صعاليك هذيل الذين جعلوا من الاماكن العالية حصناً وممتنعاً لهم ، فقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته[5] ، حتى ارتبطت المرقبة بهذا الجبل ، يقول الزبيدي « والمرقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »[6] يجدون فيه مأمنهم وينجزون مهماتهم في الترصد ومراقبة الاعداء « فالوقوف على المرقبة يزدوج فيه معنى الهرب والمواجهة »[7] . ولقد تحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم ، وتحدثوا عن تربصهم بضحاياهم ، وارتقابهم الفرصة

www.dorat-ghawas.com

الملائمة لمهاجمتهم ، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم .

ومن اشهر مناطق تربصهم - فضلا عما سبق - منطقة جبال السراة فيما بين مكة والطائف ، ولعلها المنطقة التي شهدت وجود اكبر عدد من صعاليك العرب ، فيذكر الاصمعي أن بالحجاز والسراة من هؤلاء العدائين الذين يعدون على ارجلهم ويختلسون اكثر من ثلاثين[٨] ، وان في هذيل وحدها منهم أربعين[٩] وهذه المنطقة بحكم طبيعتها الجبلية تيسر وسائل المراقبة والترصد فضلا عن وسائل الهرب والاختفاء والنجاة ، فما أيسر ما يجدون في دروبها الملتوية [illegible] وطرقها الصاعدة الهابطة فرصاً طيبة تساعدهم على الهرب ، أكثر ما يجدون في كهوفها المتعددة ، وثناياها الغامضة المحجبة وصخورها العالية المتناثرة اماكن صالحة للاختفاء والمراقبة[١٠] . ففي اخبار تابط شراً أنه اغار ومعه ابن براقة على بجيلة ، فلما خرجت في آثارهما « مضيا هاربين في جبال السراة ، وركبا الحزن »[١١] .

وأشهر الصعاليك الذين انتشروا في هذه المنطقة الجبلية صعاليك فهم وصعاليك هذيل ، فضلا عمن انضم الى اولئك وهؤلاء من خلعاء القبائل وشذاذها .

لقد احتشد كثير من صعاليك هذيل وذؤبانهم يراقبون ويسطون على الآمنين الوادعين او يُروعون القوافل التي كانت تقطع الطريق بين مكة والطائف ، متربصين بمن يريد العمرة او الوافدين على الحرم ، والخارجين منه في تجارة ، يشجعهم على الفرار طبيعة الاقليم ذي الشعاب والاخاديد العميقة واشهر الاماكن هنا جبل غزوان[١٢] . ان طبيعة الجبل والحياة فيه اضفت على الهذلي شيئاً كبيراً من التوجس والحذر ومن هنا كان يقظا جريئاً لا يهاب شيئاً ، وهو ما يفسر الكثرة الملحوظة من الشذاذ فيهم ، والذين يكثر بينهم الفرّار العداؤون ، تشد أزرهم طبيعة صلبة وعرة تمنح سوقهم عضلات قوية[١٣] نتيجة لطبيعة الارض وما تستلزمه من صعود وهبوط دائمين ، وتسلق للمرتفعات ومنها مراقب الرصد .

لقد اتخذ هؤلاء الغزو والسطو « مهنة » حين حيل بينهم وبين ما يريدون على ان هذه الطبقة المتمردة لم تستقل بنفسها عن الطبقة الفقيرة كلها ، ولم تخلعها القبيلة بدورها وانما اكتفت بخلع بعضها ممن كانت وطأتهم شديدة كصخر الغي وأبي جندب ..

ان اصحاب هذا النوع من الغزو - اعني الصعاليك - يجمعهم وجدان طبقي واحد عمل على تكافئهم فاذا هم طبقة ظاهرة مستقلة لها شخصيتها واسلوبها المعين في الحياة وان كثيراً من شعراء هذيل كانوا من المتمردين الذين يعيشون مع الصعاليك الاخرين في توافق اجتماعي في اكثر الاحيان ، وبعض هؤلاء طلبتهم القبائل الاخرى فانطلقوا يختبئون في الصحراء ، او في شعاب الجبال ومراقبها ، يعيشون بها مشردين متوجسين مطلوبين للثأر والقصاص ممن آذوهم واغاروا عليهم ونهبوهم ، ومن هؤلاء - مثلا - ابو جندب[١٤] .

وطبيعي أن ترتبط حياة بعض هذيل بهذه الناحية ، يتعرضون من أجلها لانواع شتى من المشقة حيث يتربص بهم الناس ، وهم يتربصون بهم وهو ما نجده في غزوات تابط شراً المستديمة لاحد جبال بني لحيان المفردة[١٤] . وفي اخبار بعض الصعاليك الهذليين انهم كانوا يغيرون على خزاعة[١٥] ، وكانت خزاعة تقيم بمكة[١٦] ، وكان بين هذيل وفهم ثارات[١٧] ، فكان صعاليك كل من القبيلتين يغيرون على الاخرى ، فيتربص بهم صعاليكها ، وهكذا يبدو أن للمسالة جانباً اقتصادياً آخر هو سر المسالة والذي يرجع الى الصراع بين الطائفتين على أهداف واحدة هو السيطرة المطلقة على هذه المنطقة الخصبة[١٩] .

لقد وقف الصعاليك موقفاً اجتماعياً رافضاً واعتمدوا على القوة في كسب رزقهم ووجدوا في القوافل التجارية المارة سبيلا لكسب هذا الرزق ، ففي مرور هذه القوافل في المناطق المقفرة الموحشة فرصة صالحة للغارة والغزو ، وصيد موات للسلب والنهب فاجتمعوا في عصابات ، وانضم اليهم خلعاء القبائل وشذاذ الاحياء ، يتربصون مترصدين لينتهبوا ما يقدرون على انتهابه[٢٠] .

والمرقبة التي يتربص فوقها الشاعر الصعلوك دائماً منيعة ابية على سواه واكثر ما يتحدثون عن تربصهم فوقها والليل مقبل يغشى الكون بدياجيه المخيفة ليكون هذا امعن في التخفي ، وأقرب الى مواتاة الفرصة وامل [illegible] أنهم وقوة قلوبهم ، « والليل اخفى للويل »[٢١] [illegible] امثالهم . و « الصعاليك نومهم قليل » كما يقول الشا[illegible] عمرو بن براقة[٢٢] .

ويرسم الشنفرى في [illegible] شعره لوحة رائعة لمرقبته ، فهي منيعة عالية يعجز دونها الضباء الماهر الخفيف الذي يخرج بكلابه المضّراة للصيد ، ويصف لنا كيف صعد اليها وقد اقبل الليل بظلامه الحالك الشديد الذي يلف الكون ، وكيف قضى الليل فوقها متربصاً ، محدبا على ذراعيه مبالغة في تخفيه كما يتطوى الاذعوان المنكسر ، ولا شيء معه سوى نعلين باليتين مفتخراً بذلك وباصحابه الذين لا ينارقونه ، سيفه وقوسه وسهامه[٢٣] :

ومُـــرقبـــةٍ عيطـــاء يقصرُ دونهـــا
. أخـــو الضروة الرّجـــلُ الخفيف المشفَّفُ
نميتُ إلى أعـــلى ذُراهـــا وقـــددنـــا
من الليـــل ملتفّ الحـــديقـــة أســـدفُ
فبت عـــلى حـــد الذاعـــين مُحـــدبـــا
كمـــــا يتطـــــوّى الارقشُ المتقصّفُ
قليـــلَ جهـــازى غـــير نعلـــين أسحقت
صـــدورهمـــا مخصـــورةً لا تخصّفُ
وملحفـــــة بِرْس وجُـــــرد مـــــلاءة
إذا أنجمتْ من جانب لا تكفّفُ[٢٤]

وهذا ما نجده في مرقبة تابط شراً التي تعلو سائر المراقب وهي الى جانب هذا معقدة ذات اخاديد كأنها عجوز شمطاء بثياب خلقة ، ولكنه مع ذلك كله ما ان ينتصف الليل حتى ينهض اليها :

ومـــرقبـــة يـــأمّ عمـــرو طمـــرّة
مـــذبـــذبـــة فـــوق المـــراقب غيطـــلِ
نهضت إليهـــا من جثـــوم كـــأنهـــا
عجـــوزٌ عليها هِـــدْملٌ ذات خيعـــلِ[٢٥]

www.dorat-ghawas.com

صَعُودا بنعلٍ بالية ممزقة قد شدها بسيور بعد أن جعل تحتها نعلا اخرى :

بشـــرتَـــةٍ خَلَقٍ ، يُـوقى البنـــان بهـــا
شَـدَدتُ فيهـا سريحـــاً بَعْـدَ اطـــراقِ[٢٦]

وتبدو مرقبة ابي خراش قليلة الارتفاع في الليل لانها في الواقع اعلام شامخة يتقطع عند صعودها النعل فيصير اشلاء تشبه اشلاء طائر السماني :

ونعـــلٍ كـــأشـــلاءِ السُمـــانِي نبـــذْتهـــا
خـــلافَ نَـــدىً من آخـــرِ الليـــل أورِهِ
إذا لم ينـازِعْ جـاهـلُ القـوم ذا النُّهى
وَبلِّـــدَت الاعـــلامُ بـــاللَّيـــلِ كـــالأُكمِ
تـــراهـا صِفـــارا يَحْسِر الطَّـرْفُ دونَهـا
ولـو كـان طَـوْداً فـوقـه فِـرقُ العُصمِ[٢٧]

وفي صورة اخرى لمرقبة يرسمها بشكل اشمل واكثر تفصيلاً ويضع نفسه امام شرط قاس وهو الانسلاخ من قبيلة « مرة » إنْ اخفق في ارتقاء هذهِ المرقبة التي هي نتوء مشرف من الجبل كانه حد الفأس ، يشرف على طريق ضيق كأنه النفق ، يتسرب فيه الناس ، وقد اقيم فوق هذا النتوء عرش يستظل المتربص تحته ويختفي فيه ، ولكن هذا العرش قديم متهدم لم يبق منه الا عودان أحدهما قائم والاخر ملقى على الارض :

لستُ لُمَّـــرةَ إن لم أوفِ مَـــرقبـــةً
يبـــدو لِيَ الحـــرث منهـــا والمقـــاضيبُ
في ذاتِ ريـــدٍ كـــذَلْقِ الفـــأسِ مشرفـــةٍ
طـــريقهـــا سَـــرَبٌ بـــالنـــاسِ دعبـــوبُ
لم يبق من عـــرشهـــا الا بِعـــامُتهـــا
جِـــذلان مُنهـــدمٌ منهـــا ومنصـــوبُ[٢٨]

ولم يكن ابو خراش وحيدا فوق مرقبته وانما كان معه صاحب عزيز قوي النفس لم يرض بحياة الدعة وأبى أن يكون عبداً او خادماً للناس ، انما آثر ان يكون صعلوكاً عاملاً يرصد فريسته من فوق المراقب والدنيا ظلام والليل موغل ، فهو يرفض الراحة والدفء اللذين ينعم بهما الضعاف الذين لا خير فيهم :

بصاحب لا تُنالُ الدهر غِرَّتُهُ
إذا افتلى الهدفَ الِقنُّ المعازيبُ
بعثته بسواد الليل يرقبني
إذْ آثر النومَ والدفء المناجيبُ[٣٠]

ويمضي ابو خراش « بعد ذلك مضيفاً الى صورة صاحبه خطين آخرين فهو قائم فوق هذه المرقبة كأنه السهم ، او قدحٌ كثير الفوز قد جعل صاحبه فيه علامة لشدة اعتزازه به وحرصه عليه ثم هو سَمْحُ النفس على نحافته وقلة لحمه »[٣١] .

يظلُّ في رأسها كأنه زلَمٌ
من القداح به ضرْسٌ وتعقيبُ
سَمْحٌ من القوم عريان اشاجعه
خَفُّ النواشر منه والظنابيبُ[٣٢]

إن ظاهر الصورة التي رسمها ابو خراش لمرقبته والتي بدت مهترئة توشك على السقوط يختلف عن باطنها الذي يشكل رمزاً للقوة فالارتقاء اليها ومراقبة السابلة منها يحتاج الى بطولة منقطعة النظير لهذا تراه يحشد الوان صورته الصادقة البارعة محدداً ابعادها في ابراز صفات صاحبه من نحول ونواشر بارزة . وهو ما نجده في الصعلوك العامل الذي يمدحه عروة ، والذي يظل مصدر تهديد لاعدائه مطلا عليهم وهم يزجرونه كما يزجر المقامرون بعض قداحهم الخاسرة اذا ضربوا بها وهو بذلك يتحدى اعداءه ويقهرهم :

مُطلاً على اعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المتيح المشهرِ[٣٣]

لقد كان الذعبان لا يقرون ابداً ، لان الحياة عندهم عمل مستديم ، وكانوا حذرين في كل خطوة يخطونها ، ولقد وجدوا في المناطق الجبلية ومرتفعاتها ما يعينهم على اتمام مغامراتهم ، ففي قممها العالية مراقبهم منها يرصدون اعداءهم ، حتى يستطيعوا أن يوجهوا اليهم ضربتهم في الفرصة الملائمة ، ولا يقتصر الرصد فيها على الليل بل يشمل النهار ايضاً فهذا عمرو ذو الكلب يفتخر بالمرقبة التي يتربص فوقها ، فهي بعيدة واسعة عالية ملساء ، منحدرة الحرف ، وقد أمن في موضعه ذاك طوال يومه مُخفيا شخصه ، حتى اذا حانت الفرصة تحدر من فوقها وهو ما يزال متخفياً كما يتحدر الماء الصافي الذي يهتدي لمنحدره :

ومرقبةٍ يحار الطرف فيها
تُزل الطير مشرفة القذالِ
ولم يشخص بها شرفي ولكن
دنوت تحدُّرَ الماء الزُّلالِ
اقمت بزَيْدها يوماً طويلًا
ولم أُشرف بها مِثلَ الخيالِ
ومقعدِ كُربةٍ قد كنتُ فيها
مكان الإصْبَعين من القِبالِ[٣٤]

فالشاعر بطل علينا في هذه الابيات مصوراً حاذقاً لهذه المرقبة ولحالته فيها فهو قد عرفها جيداً بعد أن اقام فيها طويلًا . وهو ما نجده في ابيات تابط شراً الذي يفخر بنفسه وبقوته وصبره لانه سبق اصحابه الذين يرتقون معه اعلى القمم وادقها ، لا يمنعهم من ذلك حر الصيف وشمسه المحرقة ، ولان في الوصول اليها الامن والعلو والمنعة :

وَقُلَّة كسنانِ الرُمح بارزةٍ
ضحيانةٍ في شهور الصَيف مِخراقِ
بادَرْتُ قُلتها صحبي وما كسلوا
حتى نميتُ اليها بعد إشراقِ
لا شيء في زَيْدها ، إلّا نعامَتُها
مِنها هَزيمٌ ، ومنها قائم باقِ[٣٥]

فالصعاليك يتربصون فوق المراقب يدققون فيها كل يومهم وهم راقدون على الارض كالخيال حتى لا يراهم احد ، ففي رصد حركات الاعداء وفي الدفاع عن المجموع يلقون العنت والمشقة

www.dorat-ghawas.com

فضلاً عن ذلك انهم يجدون في هذه المراقب اماكن آمنة ، فيها يدفعون الاخطار ومن خلالها يترقبون الاعداء ، وهو ما يبدو في مجمل النصوص الشعرية السابقة ، فاذا مات احد الذوبان ، يكون مما يرثى به صعوده في المرقبة وبقاؤه عليها ليمنع الشر عن اخوانه ، قال ابو المثلّم في رثاء صخر الغي .

لوكان للدّهر مالٌ عند مُتلدهِ
لكان للدهر صخرُ مالَ قُنيانِ

....

رَبّاءُ مَرْقَبةٍ مَنّاعُ مغلبةٍ
زَكّابُ سلهبةٍ قطّاعُ اقرانِ[٣٦]

فارتقاء هذه المراقب يُعد من المفاخر التي تمدحوا بها ، وهذا ما نجده – ايضاً – في رثاء تابط شراً لصاحبه الشنفرى الذي لم ينس بطولته في ارتقاء تلك المراقب الشماء التي طالما ربض فوقها في انتظار فرائسه ، فرائس الغزو وفرائس الثار : منبهاً اصحابه على احوالهم من غفلة عنهم اودراية بهم ، فيقول فيه :

ومرْقبةٍ شماءَ أقعيتَ فوقها
لينعمَ غاز او ليدْرك ثائرُ
وأمرٍ كسدِّ المنخرينِ اعتَليتَهُ
فَنفّستَ مِنهُ والمنايا حَواضرُ[٣٧]

ويتحدث عروة كثيراً عن اصحابه ولكن حديث القائد لا حديث الرفيق ، فهو يدعوهم للغزو والغارة[٣٨] ، حتى اذا ما انتهت الغارة ، واخذوا طريق العودة ، ونزلوا عند بعض المياه لينحروا مما نهبوه ، تحول القائد الهمام الى قائد حذر ، لا تفارقه صفة الزعامة ، « فهو لا يقف ربيئاً لاصحابه ، وانما يبعث اخيهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات ، وهو يرسم في بعض شعره صورة لهذا الربيء ، وقد وقف فوق مرقبته ثابتاً لا يتحرك كانما غُرس فوقها ، ولكن عينيه لا تستقران ، فهو يقلبهما دائماً في الفضاء الذي يحيط بهم ، حيث اناخوا ابلهم ، واوقدوا مواقدهم يهيئون لا نفسهم طعاماً »[٣٩] فيقول :

لعلَّ انطلاقي في البلاد ورحلتي
وشدي حيازيم المطية بالرَّحلِ
سيدفعني يوماً إلى رَبِّ هَجْمة
يدافع عنها بالعقوق وبالبخلِ
قليل تواليها وطالب وِتْرها
إذا صحتُ فيها بالفوارس والرجلِ
يقلّب في الأرض الفضاء بطرفه
وهنَّ مناخاتٌ ، ومرْجلنا يغلي[٤٠]

وبعد .. فلقد عبر الشعراء الصعاليك عن قوتهم وشجاعتهم الفردية من خلال صورة المفازات التي اجتازوها او المراقب الشم التي ارتقوها ، وقد طال الحديث عن هذه المراقب التي لم يجرؤ غيرهم على ارتقائها . لما في ذينك المسرحين المفاوز والمراقب من الاخطار والمخاوف ولا سيما المخاطر الطبيعية ، فضلاً عن المفاجآت المجهولة التي تحملها الطبيعة مما يجعل ارتياد تلك الاماكن مبعثاً على الفخر والشجاعة ، هذا الى جانب صفتي الارتفاع والمنعة ، التي وجدوها في ارتقاء المراقب والتي تحول التربص فيها والرصد منها الى موقع آمن من الاعداء كافة .

وعزز امانهم في هذه المراقب ، السلاح الذي رافقهم في رحلتي الصعود والهبوط ، وفي الليل الشديد الظلام ، او في حر الظهيرة اللافح وفي المراقب المكشوفة لشمس الصيف القاسية والهجير الحارق اللاهب .

وحفل شعر الصعاليك بقصص واحاديث عن تشردهم وفقرهم وابائهم امام تجبر الموسرين ، واحاديث عن مغامراتهم الجرئية فرادي وجماعات بما فيها من صراع وفرار وعدو وتربص فوق المراقب في انتظار الضحايا من الاغنياء والموسوين ، عارضين كل ذلك باسلوب قصصي فيه الكثير من الاثارة والتشويق وتسلسل الاحداث حتى الغاية الطبيعية المحتومة . وكان للمرقبة في هذه القصص الشعرية واحداثها دور مؤثر وبارز لما لها من مكانة في نفوس الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الصعاليك خاصة .

المرقبة عند شعراء القبائل :

يكاد يتفق شعراء القبائل في وصفهم للمراقب التي ارتقوها مع ما وجدناه عند الشعراء الصعاليك فياتي الحديث عن المراقب عندهم تجسيداً للبطولة الفردية والجماعة مقرونة بحديثهم عن التربص لاعدائهم ، والترصد فوق المرتفعات العالية والجبال ، التي هي رمز للشموخ والمظمة والعلو والتمنع ، فضلاً عن الخلود الذي يعلو على مستوى الحياة الاعتيادية ، فبما انه شامخ فهو خالد ، وقد اقترن الجبل بذكر العظماء ، وبافعالهم ومن هذه الافعال ارتقاء الجبال العالية والوصول الى مراقبها الصعبة ، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه ابا المغوار :

كان أبا المغوار لم يُوف مرقباً
إذا ربأ القوم الغُزاةَ رقيبُ[٤١]

وجمع امرؤ القيس بين الجبل والشمس ، في وصفه لمرقبته العالية الصعبة الارتقاء ، التي اشرف فوقها نهاره كله يقلب الطرف ويرقب العدو من كل ناحية حتى الغروب :

ومرقبةٍ كالزُّجِّ اشرفتُ فَوْقَها
أقلّبُ طرفي في فضاء عَريضِ
فظِلْتُ وظَلَّ الجَوْنُ عندي بِلَبْدِهِ
كأنّي أُعْدي عن جناح مَهيضِ
فلما أجنَّ الشّمسَ عنّي غِيارُها
نَزَلْتُ إليه قائماً بالحضيضِ[٤٢]

ومن الغريب أن تذكر المرقبة في شعر امرىء القيس[٤٣] ، الذي تحدث عن ترصده فوقها حتى غروب الشمس وهو ابن ملك ، ويوضح هذا الامر نص للاصمعي يرويه ابن دريد عن ابي حاتم عنه ، يقول فيه « ويقال ان كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه »[٤٤] . فان لم نوافق الاصمعي على : ان كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه ، فاننا نستطيع ان نقول ان هناك اثراً للصعاليك في شعر امرىء القيس من هذا الجانب حيث

www.dorat-ghawas.com

بدت المرقبة واضحة جداً في شعر الصعاليك ، ومن المعروف ان امرأ القيس في بعض مراحل شبابه كان يتبع صعاليك العرب « ومن الطبيعي ان النفس الفنية في هذه السن المبكرة تكون قابلة للتاثير لأن نضجها الفني لم يكتمل »[٤٤] بعد . واذن فليس من البعيد أن يكون امرؤ القيس قد تاثر بهم في هذا الجانب .

وتبدو الصورة نفسها والاتجاه ، ذاته الذي وجدناه عند امرىء القيس – الجبل والشمس – عند لبيد ، فهو يعلو المرقبة ويظل فيها حتى غروب الشمس ، وكان المرقبة لا يصلح المكوث فيها الا للرقابة والنظر فهي مرتبطة – على نحو ما – بالشمس[٤٥] .

وقد يرتبط الجبل بالليل ، وبمظاهر الطبيعة الاخرى ، فهو موطن الريبئة ، وعلى الريبئة يحاول الشاعر التغلب على الخوف الذي سببته وحشة الصحراء في بهيم الليل وما يسمعه من اصوات وغيرها بان يجعل هذا المجهول الخوف مما يستانس به فيلبسه ثوب الانسان في شكله وكلامه ، بل في معلوماته ولغته ، فهذا الاستئناس يخفف بلا شك من حدة الخوف لدى الشاعر العربي طارق الدياجي ، فيجد في المرقبة وعلوها موقع أمان ، قال زهير :

ومَـــرقَبَـــة عَـــزفَـــاءَ أوفيتُ مُقْصِـــراً
لاستانَس الاشباحَ منها وأنظُرا[٤٦]

فالاصوات الغريبة والاشباح المختلفة والجان الجوال وسط الظلام ، مما يتغلب الشاعر عليها في شعره لا بالهروب منها بل بالاستئناس بها ، وهذا التقرب والاستئناس يتم بالمراقبة والترصد من موقع الامان الذي وصل اليه في حضن المرقبة بقمة الجبل ، ونجد ذلك ايضاً في ابيات لكعب بن زهير يذكر فيها القفر الموحش والجبل والمرقبة التي ارتقاها فيقول :

ومرقبةٍ عيطاء بادرتُ مُقْصِراً
لاستانِس الاشباحَ أو أتَنَوَّرا
على عَجَلٍ مني غَشاشاً وقد بَدَا
ذُرا النَّخْلِ وآخمَرَّ النهارُ فاذبَرَا[٤٦]

فهو يصف المرقبة وقد اتاها على خوف اخر النهار ، ولذلك كما يقول الشارح « اشد لخوفه ، لان البصر لا يَصْدقه في آخر النهار كما يَصْدقه في اوله وفي وسطه ، وانما يَخْمَرُّ عند سقوط الشمس ومغيبها »[٤٧] . وهو ما يقرره الاسود بن يعفر الذي يفخر بالصعود الى مرقبته المرتفعه جداً التي لا تبلغها الا الصقور وقد استقر فوقها مترصداً مع غروب الشمس :

ومَرِبأ كالزُّج أشرفتهُ
والشمسُ قد كادت ولم تَغْرُبِ
تلفُني الريحُ على رأسهِ
كانني صَقْرٌ على مَرْقَبِ[٤٨]

وتجد الارتفاع والمنعة واضحين في مرقبة امرىء القيس فهي مرقبة عالية صعبة الارتقاء لا تصل اليها الا الطيور[٤٩] ، وهذا ما يؤكده المتنخل الهذلي الذي يفخر بمرقبته التي ارتقاها ، والتي لا تستتر عليها الا الطيور القوية لشدة ارتفاعها ومنعتها وصعوبة الوصول اليها :

ومرقبة نميت الى ذُراها
تُزِلُّ دوارج الحجل القواطي[٥٠]

مما تقدم نجد ان المادة الشعرية للمرقبة قد استقت صورها مما وفرته الطبيعة – الجامدة والمتحركة – للشاعر معبراً من خلالها عن قوته في الصمود امامها وفخره الذاتي في ارتقاء مراقبها الخطرة المسالك ، التي تتوافق مع صفات الشاعر المتمثلة بالفتوة والشجاعة وتحدي الصعاب . وهذا ما رسمه ابو كبير الهذلي لمرقبته التي خالط الوانها فخر الشاعر بنفسه لانه ارتقى مرقبته حين احجم الرجال « عن صعودها خوفاً وتقاعسا لانها في رأس جبل شاهق تحيط به الاخطار لا نبت حولها ، ولا انيس فيها »[٥١] ، الا الحمام الاخضر الذي لا ياكله احد لانه ابعد من ان يصل اليه انسان :

ولقد ربات اذا الرِّجال تواكَلُوا
حَمَ الظهيرةِ في اليفاع الاطولِ
في رأس مشرفة القذالِ كانما
اطرُ السحاب بها بياضُ المجدلِ
وعلوتُ مرتبئاً على مَرْهوبة
حصباء ليس رقيبها في مَثْمَلِ
عيطاء مُعنقةٍ يكون انيسُها
وُرْقَ الحمام جميعها لم يؤكلِ[٥٢]

والمرقبة عند ابي ذوءيب تاخذ حيزاً كبيراً وتقدم معنى جديداً فهي للمراقبة ولحماية الديار من مباغتة الاعداء ، وليست للسطو والاستلاب ، انها مرصد القبيلة لذلك فهي مرتفعة ومشرفة ، ويتحمل الراصد فيها الحر الشديد لان مهمة حماية القبيلة تتطلب هذه التضحية منه :

هذا وَمَرْقَبَةٍ عَيْطاءَ قلتها
شَمَّاءُ ضاحية للشمس قِرْواحُ
قد ظِلْتُ فيها معي شُعْثٌ كانَّهُمُ
إذا يُشَبُّ سعير الحَرْب أرْماحُ
لا يَستظِلُّ أخوها وهو مُعْتَجِرٌ
لِرِيدِها من سَموم الصَّيفِ مُلْتاحُ[٥٣]

وهو ما يتحمله لبيد بن ربيعة الذي يحمي قومه ويكون في المظنة والخوف ، يرقب لهم عند ثغور الاعداء ، وهو بكامل عدته متهاهباً للنزال حتى اذا أجنه الظلام نزل من مرقبته الى السهل ، وامتطى جواده القوى السريع :

ولقد حميتُ الحيَّ تحمل شِكَّتي
فُرُطٌ وشاحي إذْ غدوتُ لجامها
فعلَوتُ مرتقباً على ذي هَبْوةٍ
حَرِجٍ الى أعلامهنَّ قتامها
حتى إذا أَلْقَتْ يداً في كافرٍ
وَأجَنَّ عَوْراتِ الثغُورِ ظلامها

www.dorat-ghawas.com

أشهَلْتُ وانتصبت كجذع منيفة
جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دونها جُرّامُها[٥٤]

وهو ما يؤكده في موضع آخر وموقعة اخرى يكون فيها على رأس حامية من قومه بني جعفر يحميهم ويربأ لهم ويرقب عدوهم ، بجنان ثابت وقلب قوي ، يفخر من خلاله بشجاعته وهمته بالارتقاء الى المرقب العالي الذي فيه المنعة والسمو والارتفاع :

وَلَقَدْ يَعْلَمُ صَحْبي كُلُّهُمْ
بِعِدَانِ السَّيْفِ صَبْري ونَقَلْ
رابطُ الجاشِ على فَرْجهِمُ
أَعْطِفُ الحَوْنَ بِمَدْبُوعٍ مِتَلْ
.....
فتدلَّيْتُ عليه قافلا
وعلى الارضِ غَيابات الطَّفَلْ
وتأبَّيتُ عليهِ ثانياً
يَتقيني بتَليل ذي حُصَلْ
لم أقِلْ إلّا عَلَيْهِ أوْ على
مِرْقَب يَفْزَعُ أطراف الجبلْ
ومَعي حاميةٌ من جَعْفَرٍ
كُلَّ يوم تَبْتَلي ما في الخِلَلْ[٥٥]

وهذا ما نجده في المرقب الذي وصفه كعب بن زهير والذي يفخر بالوصول اليه ، فهو مرقب شامخ قاهر الارتفاع لا يسلك طرقه الا القوي الشجاع ، حيث يجد فيه الامان والمنعة له ولمن يحميه من الاصحاب ، فضلًا عن انذاره المبكر لقبيلته من أي اعتداء خارجي :

ونار قُبَيْلَ الصُبح بادرتُ قَدْحَها
حَيَا النَّار قَدْ أوقَدْتُها لِمُسافِرِ
فَلَوَّحَ فيها زادَهُ وَرِيأتُهُ
على مَرْقب يَعْلُو الأحزَّةَ قَاهِرِ
وَلمَّا أجَنَّ اللَّيلُ نقباً وَلَم أخَفْ
على أثَرٍ مِنِّي ولا عَيْنَ ناظرَ
اخذتُ سلاحي وآنحدرتُ الى امرىءٍ
قليلٍ أذاه صَدْرُهُ غيرُ واغِرِ[٥٦]

وهذا ما يقرره ابو ذوءيب الهذلي الذي يمعن في رسم الصورة القاسية الموحشة لهذه المراقب فطرقها ملتوية لا يسلكها الا القوي الذي لا يخاف الوحدة ، ولا يخشى لظى الشمس ، ويقرن هذه الصورة بذاته التي تمجد البطولة الفردية المسخرة لخدمة القبيلة ، وهو يجازف بنفسه في اختراق المسالك الموحشة منفردا من اجلها[٥٧] . وكما يتحرك ويترصد منفرداً نجده يترصد الاعداء مع المجموع ، بشكل نفيضة يبحثون في الارض والمرتفعات لينظروا اعداءهم ، فهم رجال استطلاع متقدم في ربايا تراقب العدو وترسل اشارات التحذير بطريقة يتفقون عليها ، وهذا ما نستشفه من قوله :

على طُرُقٍ كنحور الرُّكا
بِ تَحْسبُ ارامَهُنَّ الصُّروحا
بِهِنَّ نَعامٌ بناها الرِّجا
لُ تُبْقِي النَّفائضُ فيها السَّريحا[٥٨]

وهو ما نجده عند خفاف بن ندبه الذي يربأ لقومه مفتخراً :

ومرقبة طَيَّرتُ عنها حَمَامها
نعامَتها منها بضَاحٍ مُرَلَّقِ
تبيت عِتاقُ الطير في رقباتها
كَطُرةِ بيتِ الفارسيِّ المعَلَّقِ[٥٩]

وهذه الخنساء تمدح آخاها صخراً ، بانه يحمي ديارهم من مباغتة الاعداء ويرقب ثغور تقربهم :

إنَّك راعٍ لجميعٍ فإنْ
أوْفَيْتَ أعْلى مَرْقَبٍ فآنظرِ[٦٠]

وهذه من واجبات سيد القوم الذي يكون حافظاً لاهله ورعيته لكي لا تتفشاهم خيل اعدائهم بغتة ، او ترقبهم عيون جواسيسهم[٦١] ، فكما كانوا يراقبون الاعداء ويتربصون بهم ، كان الاعداء يقابلونهم بالمثل ، وهو ما تكشفه لنا دورية الاستطلاع التي يتقدمها ابو نوءيب الهذلي حين يقول :

واصبحت أمشي في ديار كانها
خلاف ديار الكاهلية غُورُ
أنادى إذا أوفي من الارض مَرْقباً
وإني سميعٌ لو أجاب بصيرُ[٦٢]

وهذا ما نستشفه ايضاً من قول امرىء القيس الذي ابصر اعداءه متحصنين في مراقب عالية منيعة[٦٣] ، وذلك في اثناء غارته عليهم ، واكد ذلك مالك بن خالد الهذلي الذي رأى الرجال مستمكنين لهم في المراقب ، فيقول :

كأن ببطن الشِّعب غِربانَ غيلةٍ
ومن فوقنا منهم رجالٌ عصائبُ
وكان لهم في رأس شِعْبٍ رقيبهم
وهل تُوحِشنَّ مِن الرِّجال المَراقِبُ[٦٤]

وكما قدم لنا الشعر الجاهلي صورة البطولة الفردية والجماعية في ارتقاء هذه المراقب والفخر بالتغلب على الاخطار والمخاوف ان كانت طبيعية او غيرها ، من أجل حماية القبيلة من الاعداء ، قدم لنا صورة اخرى هي رثاء ابطال هذه المراقب من الذين منعوا الشر عن اخوانهم وقبيلتهم ، ومن ذلك رثاء المتنخل الهذلي لابنه اثيلة ، الذي يمدحه بانه كان يرتقي الربايا ويرصد الاعداء منها ، يقول :

أقول لما اتاني الناعيان به
لا يبعد الرمحُ نو النصلين والرَّجلُ
دُمْتَ لنا كان لم يُغلَلْ تنوءُبه
تُوفى به الحربُ والغَزْاءُ والجُلُلُ
رَبَاءُ شمّاءُ لا يأوي لقُلَّتِها
إلّا السَّحابُ وإلّا الأوْبُ السَّبَلُ[٦٥]

وهذا ما نجده في رثاء مالك بن خالد لابنائه[٦٦] ، ورثاء الخنساء لاخيها صخر[٦٧] . وبعد ..

فالمرقبة اذن عند شعراء القبائل رمز للقوة الجسدية والمنعة

www.dorat-ghawas.com

والبطولة ، وقد تأتى ذلك كله من كونها تربض في قلب الجبل الازلي الشموخ . وقد امعنوا في وصف علوها فذهبوا الى ان الصقور وحدها من يستطيع بلوغها . فجسدوا بذلك شجاعتهم وبسالتهم وجلدهم وتحديهم للموت . وشاعر القبيلة يذكر المرقبة بوصفها مكاناً تبدأ منه حماية القبيلة وحفظ امنها وسلامة ابنائها ومقدراتها ، هذا الى جانب ذكرها مكاناً يستكشف منه المقاتلون شؤون اعدائهم واستعداداتهم لمواجهة الاخطار فيضمون في ضوئها خططهم القتالية .

وقد رأينا ان صورة المرقبة تسللت الى موضوعاتهم الشعرية المختلفة من فخر ومديح وحماسة وتهديد ورثاء بيد انها – في كل الاحوال – كانت مفردة من مفردات القوة والشموخ يوظفها الشعراء في الموضع الملائم الذي يرون توظيفها فيه بما يمنح الموضوع الشعري قدرة الاداء الفني المطلوب .

مرقبة الصيد – للانسان : –

لقد عرف العربي الصيد والطرد ، وعرف كيف يطارد الحيوان ويقنصه ، فهو يراقبه طويلاً ويصبر عليه في مرقبته[٦٨] ، متربصاً به طوال الليل منتظراً اول خيوط الفجر حين ينساب القطيع الى موارد الماء ليروى ظماه ، وهو ما ينتظره الصياد الذي غارت عيناه وهناً وهزالاً ، وشققت سموم الصيف جلده ، فاستحال اسود جافاً ، وبرزت عظامه وغلظت انامله لشدة جهده وطول مراقبته[٦٩] .

لقد سن امرؤ القيس اوقات الخروج الى الصيد ، فتبعه الشعراء وتخاطفوها جيلاً بعد جيل[٧٠] ، حتى امست لازمة لا تكاد تفارق مطلع اي شعر يتناول وصف الحيوان ، ومراقبته واصطياده :

وقد اغتدي ومعي القانصان
وكُلّ بمرباة مُقتفرْ[٧١]

لقد استقى الشعراء صور الصياد المراقب من الطبيعة ، وهو ما نجده عند بشر بن ابي حازم الذي تقترب هيأة الصياد في ذهنه بهيأة الذئب فكلاهما سريع ، يبغي فريسته ، فينطلق باحثاً عنها مع الشروق وقد علته غبرة ، وواضح أن غبرة الذئب حقيقية ، اما غبرة الصياد فطارئة ، اكتسبها من القفار ومراقبة الوحش :

وباكره عند الشروق مكلّبٌ
أزلُّ كسرحان القصيمة أغبرُ[٧٢]

ولا يختلف الاعشى بتشبيهه الصائد بالذئب ، وقد قعد في مرقبته يرصد منها الوحش صبيحة كل يوم[٧٣] ، وكأن الوحش قد ادركت ما يضمره الرماة لها فباتت تحذرهم وتتحاشى مواطنهم ، وفطن الصياد لذلك لذا وجدناه يستتر عن الوحش ويخفي رائحته[٧٤] مختبئاً في ربيئته ، يراقب مورد الماء قال زهير :

وعلى الشريعة رابئ متحلّس
رام بعينيه الحظيرة شيزبُ[٧٥]

ويسهر الصائد في تلك المرقبة ، طاوياً ليله أملاً في أن يظفر بصيد[٧٦] ، وربما يترك الصياد مرقبته ، فيدب رويداً رويداً ولا سيما حين يدنو لصيده ، فيحني قامته ، ويمشي ببطء وحذر ، ليخفي نفسه ، وبهذا الصياد شبه عدي بن زيد نفسه ، وهو يخطو نحو الشيخوخة ، وقد حنت الايام ظهره :

حنتني حانيات الدهر حتى
كاني خاتل يدنو لصيد[٧٧]

واحياناً يرسلون غلاماً ، يتشوف لهم من مكان مرتفع مسالك الوحش كما فعل امرؤ القيس ، اذ استتر رقيبه في مرقبته باوراق الشجر لئلا يراه الصيد فيذعر ، وكان الرقيب حاذقاً في مهمته ، فهو يمشي على اربعته كالخشف ، لاصقاً بالارض ليحمل لامرىء القيس وصحبه بشرى صيد وفير :

بعثنا ربيئاً قبل ذاك مخمّلاً
كذئب الغضى يمشي الضّراء ويُتقي
فظلّ كمثل الخِشْفِ يَرْفَعُ رأسَهُ
وسائرهُ مثل التُّرابِ المدقَّقِ
وجاء خفيا يسفن الارض بطنه
ترى التّرب منه لاصقاً كل ملصق
وخيطُ نعامٍ يرتعي متفرقٍ[٧٨]
فقال الاهذا صُوارٌ وعاتةٌ

وتتخذ الوعول مثالاً للقوة ، وموضوعاً للتاسي ، ولكنها على قوتها لا تنجو من الدهر ونكباته ، فهي تجعل شوامخ الجبال مساكن لها ، ومراقبها مواضع امان الا ان هذه المراقب لا تعصمها من الموت[٧٩] ، فصائد هذه الوعول يختبىء في مكان ، يراقب منه الوحش ، واسهمه في كفه ، حريص ان ينال منه بها مقتلاً ، فيرسله فيصيب نواهق الوعل والفم :

اتاح له الدهر ذا وفضة
يقلّبُ في كفهِ أسهما
يراقبهُ وهو في قترةٍ
وما كان يَرْهَبُ أن يُكلَمَا
فارسل سهما له اهزعا
فشكّ نواهقَهُ والفما[٨٠]

وقد يطول ترقب الصياد مختفياً ، يطوي نهاره حتى يقترب الظلام :

فظلّ يرقُبهُ حتى إذا نَمست
ذات العشاء بأسدافٍ من الغَسَمِ
ثم يَئُوشُ إذا آد النهار له
بعد الترقب من نيم ومن كتمِ[٨١]

ويرسم ابو خراش في قصيدة له صورة طبيعية صادقة لحمار الوحش وقد امتلات نفسه ذعراً وهما ، خشية من الصيادين ، فقد اعتلى مرتفعاً من الارض يشرف على الآفاق خائفاً يترقب[٨٢] ، واليوم شديد الحر ، وعندما تؤذن الشمس بالمغيب ، ويحين موعد الاوبة الى المنازل ، يترك حمار الوحش مرقبته ، ويهيج اتنه التي تسرع امامه مثيرة غباراً كانه الخيوط التي لم تبرم :

أرى الدهر لا يبقي على حدثانه
أقبَّ تباريه جَدائدُ حُولُ

www.dorat-ghawas.com

.....

يضل على البرز اليفاع كانه
من الغار والخوف العجم وبيل

.....

فلما رأين الشمس صارت كانها
فويق البضيع في الشعاع خميل
فهيجها وانشام نقعاً كانه
اذا لفها ثم استمر سحيل[٨٣]

وتحسُ الاتن الخطر المتربص بها من الصياد فتسرع الخطوه بعيدة عن الخطر ، ويرسل الصياد سهامه فتنجو الاتن لتقدمها ، ويسقط حمار الوحش بسهم عريض النصل[٨٤] .

مرقبة الصيد - للحيوان :

مرقبة الطير :

لم يقف الشعر الجاهلي من الطيور المترقبة للصيد موقفاً يفصح عن نواحي العناية والتدريب والتضرية ، فاكثر ما ورد كانت صوراً اوحت بها المشاهدات العابرة[٨٥] ولم نجد محاولة شعرية تسجل اسلوب استخدامهم لهذه الطيور غير ان عينهم الفاحصة لم تغفلها ، فقد عدّوها في جملة عناصر الطبيعة المختلفة التي اثارت اهتمامهم فوجب عليهم تسجيلها ضمن ما سجلوا[٨٦] .

وينطلق حديثهم عنها في العادة من « مرقبة » يترصد فيها الجارح فريسته فاذا ابصرها انقض عليها وأنشب فيها مخالبه ، وقد يستمر الصراع بين المطارِد والمطارَد زمناً ، تختلف فيه النهايات ، فقد يكون الموت مصير الفريسة ، وقد يلوذ الطير الهلوع بالصخر منتظراً ظلام الليل وزوال الخطر[٨٧] .

ومن هذه الجوارح العقاب الذي يعد من جوارح الطير المعمرة ، ان شاءت كانت فوق كل شيء وان شاءت تقرب كل شيء ، وهي اسمع الحيوانات لذلك قالوا في المثل اسمع من عقاب[٨٨] . ويقال للعقاب صومعة لانها ابداً مرتفعة على اشرف مكان تقدر عليه ، ولا تراها ابداً إلا منتصبة ولا تكاد تراوغ صيداً ، ولا تزال على مرقب عال فاذا رأت بعض سباع الطير صاد شيئاً انقضت عليه فحين يبصرها يهرب ويترك لها الصيدفان جاءت لم يمتنع عليها الذئب فما دونه[٨٩] . لهذا كان مسكنها مضرباً للمثل في العلو والاشراف والمنعة قال امرؤ القيس :

ومرقب تسكن العقبان قلّته
اشرفته مسفراً والنفس مهتابه
عمداً لارقب ما بالجو من نعم
فناظر رانحاً منه وعزابه[٩٠]

وشان الشعراء في اوصافهم لها شانهم في اوصاف غيرها من الحيوانات فهم يذكرونها من خلال حديثهم عن خيولهم ثم ينتقلون الى وصفها وتصوير ما يريدون تصويره منها ، وتدهش الانسان - احيانا - الدقة في الوصف المتاتية من المراقبة الطويلة ، والاحاطة بطبائع الطيور فالفرس المندفع الى القتال كانه العقاب الهاوى من مرقبه العالي ، قال الاعشى :

على كُلِّ مَحْبُوكِ السَّراةِ كأنَّهُ
عُقابٌ هَوَت مِن مَرْقَبٍ إذْ تَعَلَّتِ[٩١]

ونرى امرأ القيس المعجب بفرسه يشبهه بعقاب قد لاح لها في ارض قفرة ذئب ، كانت تشرف عليه وتترصده من مرقبة في قمة جبل عال ، فطارت اليه وعندما قربت منه ، وصارت فوقه انقضت عليه من علو شاهق ، بكل ثقل وقوة ، وكان العقاب الشقاء قد حل بالذئب :

كأنها حين فاض الماء واحتفلت
صَقْعاءُ لاح لها بالسُّرْحَةِ الذِّيبُ
فابصرت شخْصَهُ مِن راسِ مرقبةٍ
وَدُونَ موقِعِها مِنْهُ شناخيبُ
صُبَّتْ عليه وما تنْصَبُّ مِن أمم
إن الشقاء على الاشقينَ مَصبوبُ[٩٢]

ثم نراه يتبع الصراع حتى يدرك نهايته ، فالعقاب قد انقضت من السماء والذئب في الارض يقصد النجاء بنفسه ، ولكن العقاب تدركه فتنشب مخالبها فيه ، ويتخلص منها لائذا بالصخور ، مختبئاً يومه والرعب يملأ قلبه ، يترقب الليل عساه ان ينجو منها :

فادركته فنالتْهُ مخالبُها
فانسلَّ من تحتها والدُّفّ منقوبُ
يَلُوذ بالصخر منها بَعدما فَتَرتْ
مِنْهَا وَمِنْهُ على العَقْبِ الشآبيبُ
فَظَلَّ مُنْجحِراً منها يُراقِبُها
وَيرْقبُ الليل إن العيش محبُوبُ[٩٣]

ويحدثنا عبيد بن الابرص عن عقاب كثيرة الصيد ، تجمعت في وكرها قلوب طرائدها وجفت ، مشبها هذه العقاب فوق مرقبتها على الجبل المرتفع بعجوز ثكلت ابناءها :

كأنها لِقْوَةٌ طَلوبُ
تَحنُّ في وكْرها القُلوبُ
باتت على إرم رابِئةً
كأنها شيخةٌ زَبُوبُ

واذا كنا قد رأينا العقاب في الشعر الجاهلي تمثل رمزاً للقوة والمنعة ، فان صورتها في شعر الهذليين اتخذت دلالة اخرى تمثلت في عجزها ونفاد قوتها أمام حوادث الدهر وتلك طبيعة رؤية الهذليين للموت وايمانهم بسطوته وجبروته ، وقد كشف عن هذا صخر الغي عندما شبه اخاه بالعقاب في رثائه له حيث قال :

وللّهِ فتخاءُ الجناحين لِقْوَةٌ
تُوسِّد فَرْخَيْها لُحومَ الأرانبِ
كأن قلوب الطير في جوف وكرِها
نوى القَسْب يُلقى عند بعض المآدبِ
فخاتَتْ غزالاً جاثماً بَصرتْ به
لَدى سَمُراتٍ عند أدماءَ سارِبِ

www.dorat-ghawas.com

فمـرت علـى زيْـدٍ فـأعنَتَ بـعضهـا
فخَـرت علـى الـرِّجلين أخيَبَ خـائبِ

.....

فـذلـك ممـا يحـدث الـدهـر إنـه
لـه كـلُّ مطلـوبٍ حثيـثٍ وطـالـبِ

فالشاعر صور لنا العقاب في موقفين متناقضين تمثل الاول في القوة والحياة الهانئة التي عاشتها العقاب وفرخاها في توسدهم للحوم الارانب وتناثر قلوب الطير حول وكرها ومرقبتها فيه ، وتمثل الثاني في عجزها وضعفها امام القدر الذي ادى الى هلاكها ، عندما ارتطمت بصخرة صماء وصرعها القدر قبل ان تصرع فريستها وبذلك سيطر على القصيدة باكملها شعور واحد هو حتمية الفناء لكل شيء .

ويبدع ابو خراش الهذلي بتصوير نفسه - حين رأى جماعة ظنهم اعداءه - وتشبيهها بعقاب :

كـأنـيَ إذا غَـدوا ضَمَّنْـتُ بَـزَّى
مـن الـعِقْبـان خـائتـةً طلـوبـا
جَـريمـةُ نـاهِضٍ فـي رأس نيـقٍ
تـرى الـعظـام مـا جمـعـت صليبـا

.....

فـلاقَتْـهُ بِبلْقَـعـه بـرازٍ
فصـادَمَ بيـن عينيـهـا الجَبُـوبـا[14]

كانت تترصد وتراقب من اجل فراخها من مرقبة في شمراخ جبل شاهق الارتفاع فترى من بعيد صيداً ، فتجمع عزمها وتنطلق خلفه ، فصورها الشاعر منطلقة وراقبها في حركتها وتعقبها مجدةً في المضي وراءه ، حتى تلتقي به في فضاء بارز ليس حوله شيء ، ولكنها لا تصل اليه ، فقد اخطأته وصكت برأسها الارض .

ومن الجوارح الاخرى الصقر : التي سجل الشعراء عادتها في ملاحقة القوافل وكتائب الجيش ، تراقب من بعيد طمعاً في صيد يتخلف عنها ، صابرة في ترقبها ، متأملة لحظات القتال ساكنة في مكانها سكون الشيوخ الذين أضرَّبهم البرد :

إذا مـا غـزوا بـالجيش حلَّقَ فـوقَهُـمْ
عصـائب طيـر تـهتـدي بـعصـائبِ

.....

يصـانـعـهـم حتـى يُغِـرْنَ مـغـارهـم
من الضـاريـات بـالـدمـاء الـدوارب
تـراهـن خلـف القـوم زوراً عيـونـهـا
جلـوسَ الشيـوخ في مسـوح الارانب[15]

وينقل لنا ابو خراش الهذلي ذلك الصراع المستمر من اجل البقاء في صورة حية نابضة بالصدق لصقر فوق مرتفع مشرف على الافاق ، يراقب في البعيد والقريب ، وفجأة يلمح من بعيد ارنباً يتوارى بين شقوق الارض فيتهيأ لها ثم يشرع يطاردها ، فتسرع حين تحس به لتنجو من الموت ، ولكنها اعجز ما تكون عن الهرب ، امام طير جارح اصاب منها القلب :

ولا امْـفَـرُ الـسـاقيـن ظـلَّ كـأنـهُ
علـى مُخـزَئـلات الإكـام نَصيـلُ
رأى ارنبـاً مـن دونهـا غـول أشـرُجٍ
بَـعيـدٌ عليـهـنَّ الشُـرابُ يـزولُ
فضَـمَّ جنـاحَيـه ومـن دون مـا يَـرى
بـلادٌ وحـوشٌ امْـرُعٌ ومحـولُ
تـوائـل منـه بـالضـراء كـأنـهـا
سَفـاةٌ لـهـا فـوق التـراب زَليـلُ

.....

فـاهوى لهـا في الجـوِّ فـآختـلَّ قَلْبَهـا
صَيُـودٌ لحبـاتِ القلـوب قتـولُ[16]

وبعد ... فتلك هي صورة المرقبة وطبيعة توظيفها في الشعر الجاهلي ، حيث وجدناها شاخصة في شعر الصعاليك ، وشعر فرسان القبيلة وشعرائها المبرزين في حالتي الحرب والسلم وتتمثل هذه الاخيرة في شعر الطرد والصيد بكل خصوصياته .

والمتأمل في هذا الشعر يراه شعراً حياً خالداً يمزج بين الصورة الحقيقية المعيشة والفن الاصيل المنبثق عن نفس متأثرة منفعلة بالحدث ، ذلك ان المرقبة ذات اهمية كبيرة في حياة الصعلوك ، بحيث لا نغلو اذا قلنا انها من أهم مقومات استمرار حياته الشاقة المعقدة ، مثلما هي مهمة لعيون القبيلة وحماتها الساهرين على امنها وحرماتها وفرسانها في مباغتة اعدائهم ، فان ولينا وجوهنا صوب الصيد وجدنا ان لا مناص للصياد - في كثير من الاحيان ان لم يكن دائماً - من ان يلوذ بها مختبئاً متربصاً بفريسته لينقض عليها حيث يرى ذلك مناسباً مستفيداً من عنصر المباغتة التي توفرها له ، ولا فرق في ذلك سواء أكان الصياد انساناً أم حيواناً .

ولقد اجاد الشاعر الجاهلي في وصف مرقبته مجسماً حالها وباسطاً اوصافها مظهراً منعتها وشموخها وبسالته وقوته في آن معاً .

وعليه فهو يسير في شعر المراقب على ديدنه في شعره الخالد الاصيل الذي لم يزل حتى يومنا هذا معيناً ثرا يمتح منه القارىء المتأمل الجديد تلو الجديد وذلك هو أحد اسرار خلود هذا التراث الشعري الاصيل .

الهوامش

(١) ينظر تاج العروس « رقب » .
(٢) م . ن « ربا » .
(٣) سورة الحج الاية ٥ .
(٤) مختارات ابن الشجرى ٤١٦ . أبان : جبل . الممنع : العالي الذي يمتنع

www.dorat-ghawas.com

من ان يبلغه احد .

(٥) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩ / ٦٣٥ .

(٦) تاج العروس « رقب » .

(٧) دراسة الادب العربي ٤ . ٣ .

(٨) ينظر فحولة الشعراء ، للاصمعي . ٣ .

(٩) ينظر م . ن ٣٧ .

(١٠) ينظر الشعراء الصعاليك ٨١ - ٨٢ .

(١١) الاغاني ١٨ / ٢١١ « بولاق » .

(١٢) ينظر كتاب المسالك والممالك ١٩ .

(١٣) ينظر شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاموي . ٢ . .

(١٤) ينظر م . ن ٨٨ - ٩١ .

(١٥) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ١٦١ .

(١٦) ينظر تاريخ ابن خلدون ٢ / ٧١ .

(١٧) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٣٣ ، ٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ .

(١٨) ينظر الشعراء الصعاليك ٨٤ .

(١٩) مجمع الامثال ، الميداني ٢ / . ١٢ .

(٢٠) ينظر الاغاني ٢١ / ١٧٥ « بولاق » .

(٢١) ينظر الشعراء الصعاليك ١٨٨ .

(٢٢) ديوان الشنفرى ، الطرائف الادبية ٣٧ . العيطاء : العالية المرتفعة او الابية الممتنعة ، اخو الضروة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد . المشفف : النحيل . الاسدف : المظلم . محدباً : من احدب اذا انحنى . اسحقت : بليت . الملحفة : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . الدرس : الثوب الخلق . انجمت : ظهرت وطلعت . كف الثوب : خاط حاشيته .

(٢٣) ديوان تابط شراً واخباره ١٨١ . من جثوم : اي من نصف الليل . الهدمل : الثوب الخلق ، الخيعل : قميص بلا اكمام .

(٢٤) م . ن : ١٤ ، الشرثة : النعل الخلق المتهرىء . السريح : القدُّ اي الشريط من الجلد المجدول تشد به النعال . والاطراق بعد ان يجعل تحت النعل مثلها اذا بليت .

(٢٥) ديول الهذليين ٢ / ١٣١ . الرهم : المطر الضعيف الدائم . بلدت : اي لزقت بالارض فترى الجبر كانه اكمة في جوف الليل يصغر في عينك . الاعلام : الجبال ، الطود : الجبل . العصم : الاروى . يحسر الطرف : يكل الطرف .

(٢٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ اوف : اشرف . المقاضيب : القت وهي الرطبة من علف الدواب . الربد : حرف ناتيء من الجبل . كفلق الفاس : كحد الفاس . طريقها سرب بالناس : يتسرب بعضهم اثر بعض . دعبوب : موطؤ . عرشها : ما يوضع فوق الدعامة تمام او شيء يستظل تحته . جذلان : عودان واحد قائم والاخر ساقط .

(٢٧) م . ن ٢ / ١٦٠ ، افتلى الهدف اي فلاه من اهله ، اي عزله وفصله ، الهدف : الثقيل الوخم من الرجال . القن : الذي ابوه عبد وأمه أمة . الممازيب . الابل والشاة التي تعزب عن اهلها في المرعى . يريد ليس براع تبعده ابله وشاؤه عن اهله . المناجيب : الضعفاء الذين لا خير فيهم .

(٢٨) الشعراء الصعاليك : ١٩٠ .

(٢٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٦١ ، الزلم بفتح الزاي وضمها : القدح لا ريش عليه . الضرس : تاثير العض . عريان اشاجعه : يعني ليس بكثير اللحم . النواشر : عصب ظهر الكف : الظنابيب : عظام الساق او حرفها .

(٣٠) ديوانه ٧٨ . المنيح هنا هو القدح الذي لا نصيب له .

(٣١) شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٣٧ ، يجار الطرف فيها من بعدها ، القذال : الرأس يريد رأس المرقبة . الربد : الحرف يندر من الجبل يقول اقمت منكبا ولم اهم مشرفاً كالخيال : منبطحاً انبطاح الخيال فلا يراه احد . القبال : اي توسطها كما يتوسط قبال النعل الاصبعين . ينظر ديوان تابط شراً واخباره ٢٥٢ حيث وردت بعض ابيات هذه القصيدة باختلاف في الرواية ، قال تابط شراً :

ومرقبة نميت الى ذراها ... ثزلُ الطير مشرفة القذال

علوت بريدها طفلاً كازي ... حوال اللُطف ، مُكسرُ الشمار

بفتيان ذوي كرم وصدق ... وهم أهلُ المعصّب والثمار

(٣٢) ديوان تابط شراً واخباره ١٣٨ - ١٣٩ . القلة : اعلى الجبل . ضحيانة : بارزة للشمس . محراق : اي يحرق من فيها . القلة : الجبل المنفرد المستطيل في السماء ، الربد : حرف الجبل المشرف على الهواء . والنعامة خشبات يشد بعضها الى بعض وتستظل بها الطلائع في القلال اذا اشتد الحر . الهزيم : المتكسر المتقطع .

(٣٣) ديوان الهذليين ٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ، يقول لو كان الموت يفتني شيئاً لافتني صخراً اي اتخذه مالاً لا يفارقه . التالد : القديم عند القوم . ربا : يربا فيها لاصحابه ينظر لهم . السلهبة : الفرس الجسيمة الطويلة . قطاع اقران : القرن هو الحبل والمعنى انه يقطع صلته بغير اصحابه .

(٣٤) ديوان تابط شراً واخباره ٨٢ . اقعيت من الاقعاء وهو تساند الرجل الى ظهره .

(٣٥) ينظر ديوان عروة ١٠١ .

(٣٦) الشعراء الصعاليك ١٩١ .

(٣٧) ديوان عروة ١٠٨ - ١١٢ ، الهجمة : الجماعة من الابل ، أولها أربعون الى مازادت او بين السبعين الى المائة ، او اثنى دونيها ، الجنل هنا جذع الشجرة .

(٣٨) الاصمعيات ٩١ .

(٣٩) ديوانه ٧٤ ، مرقبة كالزج : طويلة صعبة الارتقاء . الجون : الفرس الادهم ويكون الابيض ، وهو من الاضداد ، أعدي : اصرف وامنع . الحضيض : المسنوي من الارض ، اسفل الجبل .

(٤٠) ينظر ديوانه ، ١١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٣٤٦ .

(٤١) فحولة الشعراء ١٦ .

(٤٢) الشعراء الصعاليك ٢٨١ .

(٤٣) ينظر ديوان لبيد ٢٣١ ، وينظر الجمهره ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وديوان الهذليين ١ / ١٩٦ .

(٤٤) شرح ديوان زهير ٢٦٢ ، عرفاء : طويلة العنق مشرفة . اوفيت : اشرفت .

(٤٥) ديوانه ١٢٥ ، لاستانس : أي ابصر . الاشباح : الاشخاص ، اتنور : انظر ضوء نار ، غشاش : عجلة . ذرى النخل : اعاليه . احمر النهار : اذا اصفرت الشمس عند مغيبها ، ومما يلاحظ تشابه الالفاظ والمعنى بين ابيات زهير وكعب وذلك راجع الى رواية الشعر واختلاطه بين الاب والابن ، قال زهير :

على عجل مني غشاشا وقد دنا ... ذرى الليل وأحمرّ النهار وأدبرا

(٤٦) م . ن ١٢٥ .

(٤٧) ديوان الاسود بن يعفر ٢٢ . وينظر سرح اشعار الهذليين ٢ / ٦٥٦ شعر ربيعة بن الكودن .

(٤٨) ينظر ديوانه ٢٧٥ ، ٣٤٦ .

(٤٩) ديوان الهذليين ٢ / ٢٨ نميت : علوت ، وارتفعت الى اعاليها . القواطي : اللواتي يقارين الخطوة ، يقال قطا يقطو اذا قارب المشي .

(٥٠) البناء الفني في شعر الهذليين ٢٠٠ .

(٥١) ديوان الهذليين ٢ / ٩٦ - ٩٧ . ربات : كنت ربيئة لهم . حم الظهيرة : معظمها المجدل القصر ، حصباء : ليس فيها نبات . المتمل : الملجأ . عيطاء : طويلة العنق ، المعنقة : الطويلة . لايؤنسك فيها الا الحمام الخضر .

www.dorat-ghawas.com

(٥٢) م . ن ١ / ٤٩ - ٥٠ ، شماء : مشرفة . ضاحية للشمس : ظاهرة . قرواح : ليس فيها مستظل . معتجر بعمامته . الريد : ما بدر من هذه المرقبة ، ملتاح : متغير لونه قد غيرته السموم .

(٥٣) ديوانه ٣١٥ - ٣١٦ . الشكة : السلاح . فرط : فرس سريع . وشاحي لجامها : اي يضع لجامها على عاتقه ليكون في متناول يده . الهبوة : الغبار . القت : اي الشمس . جعل لهايدا . كافر : ليل ساترعورات الثغور : مواضع المخافة منها . اسهلتُ : نزلت من مرقبتي . يحصر : يكل ، جرامها : قطاعها .

(٥٤) م . ن ١٨٦ - ١٩٠ . عدان : موضع على سيف البحر . النقل : المناقلة في المنطق . مربوع : رمح ليس بالطويل ولابالقصير . المتل : الشديد . فتدليت : اراد انه نزل من مريائه ولا يكون التدلي الا من علو . الغيابة : ظل الشمس . الطفل : حين تدنو الشمس للغروب . تابيت : انصرفت متئداً . التليل : العنق لم اقل : لم اقض القائلة وهو نصف النهار . يفرع اطراف الجبل : يتجاوزها طولاً . تبتلى : تختبر . الخلل : جفون السيوف .

(٥٥) شرح ديوان كعب : ١٨٦ - ١٨٧ ، حيا : لاحياء النار ، بادرت قدمها : اي ايقادها . فلوح : اي جعل في النار ما اراد من خبز ولحم . الاحزة : جمع حزيز وهي اماكن غلاظ ، اجن الليل : سترتني ظلمة الليل . النقب : الطريق في الجبل . الواغر : الحاقد .

(٥٦) ينظر ديوان الهذليين ١ / ٨٢ - ٨٤ .

(٥٧) م . ن ١ / ١٣٦ . تخور الركاب : اعناق الابل . الارام : الاعلام التي يستدل بها على الطريق . الصروح : القصور . التعام : خشبات للريبئة يتخذها الذين يستظلون بها تنصب ويجمع عليها التمام . النفائض : الذين ينفضون الارض ينظرون ما فيها من جيش او عدو . السريح : القد الذي تخرز به النعال . تبقيه من طول ترقيها الجبال .

(٥٨) شعر خفاف بن ندبة ٣٩ ، وهي الاصمعية ٢ / ٢٤ - ٢٥ النعامة : كل بناء على الجبل ، الضاحي : البارز للشمس ، مزلق : املس الطرة : الناصية .

(٥٩) ديوان الخنساء ١٩ .

(٦٠) ينظر م . ن ١٦٥ .

(٦١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٨ . الكاهلية : نسبة الى بني كاهل ، دياعور : اي فاسده .

(٦٢) ينظر ديوانه ٢٣٧ .

(٦٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٢ . غيلة : شجر ملتف ، الشجر : الغيل . من فوقنا : اي من فوق الجبل ، رجال عصائب : اي جماعات .

(٦٤) ديوان الهذليين ٢ / ٣٧ . نو النصلين : الزج والنصل وهذا معناه لا يبعد فلان وسلاحه . المزاء : الشدة . الاوب : رجوع النحل ، السيل : القطر حين يسيل .

(٦٥) ينظر م . ن ٣ / ٣ .

(٦٦) ينظر ديوانها ٤١٣ .

(٦٧) ينظر شعر الطرد عند العرب ١٤ وما بعدها .

(٦٨) ينظر ديوان اوس بن حجر ٧٠ - ٧١ .

(٦٩) ينظر شعراء الطرد عند العرب ١٥٣ .

(٧٠) ديوان امرىء القيس ١٦٠ . القانصان : الصائدان ، المرباة : مكان يربا فيه وهو مرتفع ليشرف منه على الوحش ، مقتفر : تتبع اثار الوحش .

(٧١) ديوان بشر بن ابي خازم : ٨٤ : مكلب : الصياد صاحب الكلاب ، الازل : السريع الخفيف . السرحان : الذئب ، القصيمة : ما سهل من الارض وكثر شجره .

(٧٢) ينظر ديوان الاعشى ١٢١ .

(٧٣) ينظر الطرد في الشعر العربي ٨٧ .

(٧٤) شرح ديوان زهير ٣٧٦ ، الشريعة : شريعة الماء ، رابىء : قانص ، الحظيرة : موضع الماء . شيزب : يابس من الضر وشدة الحال . وينظر شرح ديوان كعب ١٤٦ .

(٧٥) ينظر منتهى الطلب ١٣٥ .

(٧٦) ديوان عدي بن زيد ١٩٨ .

(٧٧) ديوانه ١٧٢ . مخملاً : يخمل نفسه ويخفيها . الغضى : شجر . يمشي الضراء : اي بأختيال وتبختر . الخشف : ولد الظبية . يسفن : اي يمسح الارض ببصبصه يعني يزحف زحفا . انصوار : القطيع من البقر . النعانة : من الحمر الجماعة ، وكذلك الخيط : من النعام . وينظر الصورة ذاتها في ديوان عمرو بن معد يكرب ١٤٠ .

(٧٨) ينظر ديوان الافوه الاودي في الطرائف الادبية ١٦ . وديوان لبيد ٢٧٢ ، وديوان عدي بن زيد ١٥٤ . وشرح اشعار الهذليين ١ / ٢٤٦ ، وينظر هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ٤٤ - ٤٥ .

(٧٩) شعر النمر بن تولب ١٠٤ - ١٠٥ . وينظر ديوان امرىء القيس ١٢٣ - ١٢٤ . وينظر الطرد في الشعر العربي ٦٣ .

(٨٠) ديوان الهذليين ١ / ١٩٦ . (ساعدة بن جؤية) . دمست : التبست الظلمة اسداف : ظلمات . القسم : اختلاط الظلمة . ينوش : يتناول ، آد : مال . الترقب : التخوف والنظر . النيم والكتم : شجرات .

(٨١) وهذا ما نجده في صورة رسمها اوس بن حجر لحمار وحش ، وجل عطش لطول المراقبة والرصد :

فاضحى بقارات السُنار كأنه
ربيئةُ جيشٍ فهو ضمآن خائفُ
يقول له الراعون هذاك راكب
يؤُبُّ شخصاً فوق علياء واقفُ

ديوانه ٦٨ ، القارات : جبل مستدق ملموم في السماء ، السنار : علم على جبال كثيرة . التابين : اتباع الاثر في الارض .

(٨٢) ديوان الهذليين ٢ / ١١٧ - ١١٨ . اقب : حمار ضامر البطن . جدائد : التي لالبن لها . حول : جمع حائل ، البقاع : ما ارتفع من الارض ، الوبيل : العصا الغليضة الشديدة ، الابالة : حزمة من الحطب ، المحمم : هو الذي ياخذ معه هم وحديث نفس . انشام : دخل ، النقع : الغبار . السحيل : خيط لم يبرم .

(٨٣) ينظر م . ن ٢ / ١٢٠ - ١٢١ .

(٨٤) ينظر سمط اللاليء ٢ / ٩٦٥ . وينظر ديوان عبيد بن الابرص ١٨ .

(٨٥) ينظر شعر الطرد عند العرب ٣ . ٢ .

(٨٦) ينظر ديوان امرىء القيس ٥٣ .

(٨٧) ينظر الحيوان ٥ / ٥٣٥ ، ٦ / ٤٣٩ .

(٨٨) ينظر م . ن ٥ / ٥٥٠ ، ٦ / ٤٠٧ .

(٨٩) ديوانه ٣٤٦ .

(٩٠) ديوان الاعشى ٢٦١ ، محبوك السراة : فرس محكم بخلق شديد وثيق ، وينظر ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ٣٧ .

(٩١) ديوانه ٢٢٦ - ٢٢٧ . احتفلت : اجتهدت في العدو . الصقعاء : العقاب السرحة : الشجرة الضخمة ، الشناخيب : رؤوس في اعالي الجبال . صبت : بعث عليه عذاب ، من امم : من قرب .

(٩٢) ديوانه ٢٨ - ٢٢٩ . العقب : جرى بعد جرى . الشؤبوب : دفعة من مطر منجحرا : اراد داخلاً في حجر الدُخلّ . هناك رواية اخرى لعجز البيت وهي « ويرقبُ العيش ان العيش محبوبُ » .

(٩٣) ديوانه ١٥ ، لقوه : عقاب ، ارم . جبل ، رقوب : لا يعيش لها ولد . وينظر ديوان امرىء القيس ٣٨ .

(٩٤) ديوان الهذليين ٢ / ٥٥ - ٥٧ . فتخاء الجناحين : اي لينة مفصل الجناح القسب : التمر ، خاتت : انقضت عليه عند ظبية ادماء . سمرات : شجرات وهي ام غيلان . الريد : الشمراخ من الجبل ، أعنت : اهلك .

(٩٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ ، خائنة : منقضة . طلوبا : تطلب الصيد جريمة ناهض : كاسية فرخ ، وهو الناهض . النيق : شماريخ من الجبل . الصليب . الودك ، البلقعة : المستوى من الارض ، البزاز : الفضاء البارز الجيوب :

www.dorat-ghawas.com

الارض .
(٩٦) ديوان النابغة ٦ .
(٩٧) ديوان الهذليين ٢ / ١٢١ - ١٢٣ . معجم الشاعر . لاريس حبيقة .
يريد به صقرا ، المحزئل : المرتفع ، تصير : حجر يحمى على النار لاشرح ؛
شوق في الاسر بعيدة طوار : طول : اي ذات بعد . يزول : يتحرك ، توائل : اي
شواري تلتجو منه . الضراء : ماوارك من الشجر ، السفاة : الشوكة ، اختل قلبه :
اي تقطعه .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاصمعيات ، الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب « ٢١٦ هـ » تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ، ٩٧٦ .
- الاغاني ، الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) ، طبعة بولاق بمصر ، ١٢٨٥ هـ .
- البناء الفني في شعر الهذليين ، اياد عبد المجيد ابراهيم ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الالة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٩٠ .
- تاج العروس ، الزبيدي ، ابو الفيض محمد مرتضى ، (١٢٠٥ هـ) ، المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (٨٠٨ هـ) دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ .
- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، ابو زيد الانصاري « القرن الخامس الهجري » ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٧ .
- الحيوان ، الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٦ .
- دراسة الادب العربي ، د . مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ .
- ديوان الاسود بن يعفر النهشلي ، تحقيق د . نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- ديوان الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر ١٩٥٠ .
- ديوان الافوه الاودي (ضمن الطرائف الادبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ .
- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف النجم ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان بشر بن ابي خازم ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ .
- ديوان تأبط شراً واخباره ، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٤ .
- ديوان الخنساء ، تحقيق د . انور ابو سويلم ، دار عمار ، الاردن ١٩٨٨ .
- ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق وشرح د . حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٧ .
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ديوان عروة بن الورد ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦١ .
- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، صنعه هاشم الطعان ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، تحقيق خليل ابراهيم العطية ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦١ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
- سمط اللالىء ، البكري ، ابو عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧ هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .
- شرح اشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، لجنة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعه السكري ، ابو سعيد الحسن بن الحسين ز (٢٧٥ هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القومية للطباعة ، القاهرة ١٩٥٠ .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥ .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق احسان عباس ، وزارة الارشاد الكويت ، ١٩٦٢ .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د . يوسف خليف ، دار المعارف بمصر (د ت) .
- شعر خفاف بن ندبة السلمي ، جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٦٧ .
- شعر الشنفرى الازدي (ضمن الطرائف الادبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .
- شعر الطرد عند العرب ، عبد القادر حسن امين ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٢ .
- شعر النمر بن تولب ، صنعه د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٩
- شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاموي ، د . احمد كمال زكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩ .
- الطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د . عباس مصطفى الصالحي مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٨٤ .
- فحولة الشعراء ، الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- مجمع الامثال ، الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد النيسابوري ، (٥١٨ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار القلم ، بيروت ، (د . ت) .
- المحبر ، ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ) تحقيق ايلزة ليختن شتيتر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد - الدكن - الهند ١٩٤٢ .
- مختارات شعراء العرب ، ابن الشجري ، هبة الله بن علي العلوي (٥٤٢ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٧٥ .
- المسالك والممالك ، ابن حوقل ، ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي ، (٣٦٧ هـ) ليدين ، بريل ، ١٨٧٢ .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د . جواد علي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ .
- منتهى الطلب من اشعار العرب ، محمد بن مبارك البغدادي (مصور عن مخطوطة (الاله لي) استانبول ١٩٤١ .
- هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ، عبد الرزاق خليفة محمود ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الالة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٩٧ .

www.dorat-ghawas.com